الحسن البصري

د.سالم عبد علي(*)

ملخص البحث

(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً)(الأحزاب:٢٣).لقد تناولت في هذا البحث شخصية الحسن البصري، التي كان لها دور فاعل في تاريخ الاسلام، في النصف الثاني من القرن الاول الهجري سواء بمواقفه السياسية او اراءه الفقهية فتناولت نشأته ودوره الجهادي في عمليات الفتح، ثم استعرضت اراءه السياسية في الاحداث التي عاصرها، وكان لمدينة البصرة حظ كبير في تلك الاحداث ثم بعد ذلك تطرقت بشكل مختصر الى علمه وابرز المجالات التي برز فيها وكذلك نبذة عن سيرته الشخصية وعائلته، وختمتها بأهم الوظائف التي شغلها الحسن البصري، ثم وفاته.

تحليل المصادر:

ان من اهم المصادر التي افادتني في هذا البحث هو كتاب سير اعلام النبلاء للامام الذهبي(ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، وهو عبارة عن كتاب تراجم، مستعملاً اسلوب السند، كطريقة المحدثين، ولا عجب فالامام الذهبي من كبار علماء الحديث، والكتاب يتكون من عدة أجزاء عدة، طريقة وضعه للتراجم حسب الاسبقية، الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وهكذا.

كما افدت من تاريخ الطبري، عند حديثه عن التيارات السياسية التي عاصرها ابو سعيد الحسن في البصرة، وكذلك من كتاب الفتوح لابن اعثم الكوفي عند حديثه عن المواقف السياسية أيضاً.

ان هذا البحث الذي قمنا بانجازه، حول شخصية العلامة التابعي الحسن البصري، الذي رضع من بيت النبوة، واصابته دعوة عمر بن الخطاب رضي الله

(*) مدرس/جامعة الموصل . كلية الاداب/قسم التاريخ.

عنه، كان رجلاً متميزاً في علمه وعمله، فقد نشأ قرب منابع العلم، حيث مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الذين كانوا متمركزين فيها اكثر من غيرهم، وما ان شب حتى بدأ يشارك في عمليات الجهاد التي كانت ساحاتها في المشرق والمغرب والشمال، من بلاد الترك وافريقيا وبلاد الروم، ولم يكن مجاهداً اعتيادياً، بل كان متميزاً بالشجاعة حتى ان القائد المهلب بن ابي صفرة كان يلقي بالحسن البصري في المصاعب لثقته الكبيرة به، وفي مجال العلم، كان الحسن البصري العلامة الذي يرجع اليه العلماء في مجال الحديث والتفسير واللغة والرأي.

ولم يكن الحسن بمعزل عن الاحداث التي كانت جارية في مدينة البصرة، بل كان يأمر بالسنة أي الوحدة وينهى عن الفرقة، ويأمر بالتجمل بالصبر، وعمل في الادارة في مجال الكتابة والقضاء والافتاء، واتصل بكبار رجال عصره من شتى المشارب من خوارج واوائل المعتزلة، ثم برجالات الحكم من ولاة وخلفاء ومن قادة تيارات سياسية كانت مع الدولة الاموية أو انقلبت عليها.

ولو رجعنا الى احواله الاجتماعية لوجدناه رجلاً مشهوراً في تذوق الطعام وطبخه، كريماً مع الفقراء، بسيطاً في اثاثه، انيقاً في ملبسه، زاهداً في حياته، وبعد هذا وذاك، كان الحسن البصري يطبق ما يقراءه ويعلمه للناس حتى على افراد بيته، منها رفضه تزويج ابنته من احد الاغنياء لعلة رأها، واخيراً فقد فتح الله تعالى علينا بهذا البحث عن شخصية الحسن البصري، مما جعلنا معجبين به اكثر من السابق، لان من يطابق علمه عمله بما يرضي الله عز وجل يحبب الله فيه الناس اجدر ان يكون محل محبة من عاصروه، ومن سمعوا بحياته.

وتضمن هذا البحث من مباحث عدة، معتمداً على ما يقارب الثلاثين مصدراً ومرجعاً، ما يقارب الخمسة عشرة صفحة.

فتناولت ولادة الحسن البصري ؛ ونشأته في بيت النبوة ودعوة الخليفة عمر له وصلاته وراء عثمان رضي الله عنه، وموقفه من الخليفة علي، وبعد ذلك مشاركته في العمليات الجهادية في الجبهة الشرقية.

ثم موقف الحسن البصري من الاضطرابات الداخلية، مثل حركة ابن الاشعث، ويزيد بن المهلب، وموقفه من حركات الخوارج، واراؤه السياسية في احداث عصره، ثم تناولنا ثقافة الحسن البصري في مجال رواية الحديث النبوي وتفسير القران الكريم.

واخيراً تطرقنا الى حياته الاجتماعية، واهم الوظائف الادارية التي تولاها ابتداء من كاتب للجند الى قاض في البصرة الى الافتاء.وخرجنا بنتائج منها ان الامام الحسن البصري كان رجلاً متميزاً لذا فقد خلده التاريخ، فهو من رجالات الجهاد من الطراز الاول ورجل المصاعب، وانه فضل الاعتزال عن الحركات الخارجة على الخلافة من اجل الحفاظ على وحدة المسلمين، لذا عاش ما يقارب ٨٧ سنة منذ(٢٣- ١١٠هـ/٦٤٣-٧٣٠م)، مليء بالجهاد والعلم والحكمة والاخلاق العالية، وقد شهد جنازات الكثير من اهل البصرة عند وفاته، حتى ان صلاة العصر لم يحضرها الكثير في مسجد البصرة لانشغالهم بدفن هذا العلامة.

المقدمة

(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً)(الأحزاب:٢٣).لقد تناول هذا البحث شخصية الحسن البصري، التي كان لها دور فاعل في تاريخ الاسلام، في النصف الثاني من القرن الاول الهجري سواء بمواقفه السياسية ام اراءه الفقهية فتناول نشأته ودوره الجهادي في عمليات الفتح، ثم استعرضت اراءه السياسية في الاحداث التي عاصرها، وكانت لمدينة البصرة حظ كبير في تلك الاحداث ثم بعد ذلك تطرق بشكل مختصر الى علمه وابرز المجالات التي برز فيها وكذلك نبذة عن سيرته الشخصية وعائلته، وختمها بأهم الوظائف التي شغلها الحسن البصري، ثم وفاته.

١. تحليل المصادر:

من اهم المصادر التي افادت هذا البحث هو كتاب سير اعلام النبلاء للامام الذهبي(ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، وهو عبارة عن كتاب تراجم، مستعملاً اسلوب السند، كطريقة المحدثين، ولا عجب فالامام الذهبي من كبار علماء الحديث،

والكتاب يتكون من أجزاء عدة، طريقة وضعه للتراجم حسب الاسبقية، الصحابة التابعين وتابعي التابعين وهكذا.

كما افاد البحث من تاريخ الطبري، عند حديثه عن التيارات السياسية التي عاصرها ابو سعيد الحسن في البصرة، وكذلك من كتاب الفتوح لابن اعثم الكوفي عند حديثه عن المواقف السياسية أيضاً.

٢.ولادته ونشأته :

ولد الامام ابو سعيد الحسن بن ابي الحسن يسار البصري عام(٢١هـ/٦٤١ م)[١]، هو مولى زيد بن ثابت[٢] أي قبل استشهاد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسنتين، كما ورد على لسان الحسن البصري[٣].

واسم ام الحسن البصري، خيرة، مولاة ام المؤمنين ام سلمة المخزومية(ت ٥٩هـ/٦٧٩م)[٤] ويسار ابوه، من سبي ميسان، شمال البصرة، وتزوج من ام الحسن، خيرة، في خلافة عمر بن الخطاب[٥].

نشأ الحسن بوادي القرى، شمال المدينة المنورة[٦] وبعد ان اصبح فتى حضر الجمع مع الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه(٢٤.٣٦هـ/٦٤٤.٦٥٦م)[١] وكانت

---

[١] ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم:المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢(بيروت: ١٣٨٩ـ١٣٦٩)ص٤٤١؛ينظر،الذهبي،محمد بن احمد بن عثمان: سير اعلام النبلاء، ط٤(بيروت:١٤٠٦.١٩٨٦)ج٤/ص٥٦٤.

[٢] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، ط٣(بيروت:١٤١٤ـ١٩٩٤) ج١٥/ص٤٠٨

[٣] الطبري، محمد بن جرير، المنتخب من كتاب ذيل المذيل، تحقيق:محمد ابو الفضل ابراهيم(القاهرة:د.ت)ج١١/ص٦٠٤

[٤] ابن قتيبة:المعارف،ص١٣٦؛ ينظر :الطبري:تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم،ط٤(القاهرة: ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م)،ج٥/ص ١٦٥.

[٥] الذهبي: سير، ج٤/ص٥٦٤.

[٦] الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان(بيروت: د.ت) مج٤/ص٣٤٥، ينظر:

ترضعه احيانا ام سلمة، ام المؤمنين عندما تكون امه منشغلة في اعمالها فيقوم بالبكاء(الحسن) فتخرج له ام سلمة، رضي الله عنها، ثديها فتضعه في فم الحسن، فربما در في فمه، كرامة له.

وقد اخرجت ام سلمة، ام المؤمنين، الحسن البصري وهو رضيع للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، طالبة الدعاء له، فدعا له قائلاً " اللهم فقه في الدين وحببه الى الناس[٢]، وقد اتت دعوة عمر ثمارها فهذا الفقيه له محبة خاصة في قلوب المسلمين أي انه نال مرضاة الله تعالى بناءً على الحديث النبوي[٣] اما عن شكله فقد كان جميلاً فيعد من الزرق، أي المقصود انه ابيض اشقر، لذا فقد عد من اجمل اهل البصرة، حتى جرت له حادثة.. اذ سقط من دابته واثرت على شكله، فاصيب في انفه[٤] اما فيما يتعلق بشكله الخارجي، فقد وصفته المصادر بأنه ضخم،ودليل ذلك ان زنده كان عرضه شبر حسب ما نقلته الروايات[٥]، مما يدل على ضخامة هيكله العظمي.

وبعد ان بلغ الحسن البصري، من العمر مبلغ الشباب، خرج للمشاركة مع غيره من شباب المسلمين، في عمليات الجهاد، التي كانت منتشرة في مختلف الجبهات ولاسيما بعد استقرار الخلافة لمعاوية بن ابي سفيان، وكان ذلك على الارجح بعد عام(٤١هـ/٦٦١م)[٦].

H.pitter: Hasan.AL.Basri ; Ency clo paedia of Islam. London. 1971 , v111 , p247..

[١] المبرد، محمد بن يزيد: الكامل، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم والسيد شحاته(القاهرة:د.ت) ج٣/ص٢١٦،٢١٥، الذهبي: سير، ج٤/ص٥٦٤.

[٢] الذهبي: المصدر نفسه، ج٤/ص ٥٦٠.

[٣] الترمذي، محمد بن سورة:الجامع الصحيح، ط١(بيروت:١٤٠٨-١٩٨٧) ج٥/ص٢٩٨، رقم الحديث ٣١٦١

[٤] ابن قتيبة: المعارف، ص٥٧٠ ؛ ينظر، الذهبي: سير، ج٤/.

[٥] ابن قتيبة: المعارف، ص٤٤١ ؛ ينظر، الذهبي: سير، ج٤/ص٥٧٢.

[٦] الطبري: تاريخ، ج٥/ص١٦٥.

كان حظ الحسن البصري ونصيبه الجبهة الشرقية[١]، اذ شارك الحسن البصري، في عمليات الفتح في زابلستان[٢] والاندعان، والاندبان[٣]، وكابل عاصمة بلاد الافغان[٤]، وشارك الحسن البصري بالجهاد، تحت امرة الصحابي، الاحنف بن قيس(ت ٦٧هـ/٦٨٧ م)[٥]، ومع ابن سيرين(ت ١١٠ هـ/٧٢٨م)[٦] ويبدو انه نال نصيبه من العلم الشرعي اراد ان يطيبق ما استطاع من ذلك عن طريق المشاركة بالجهاد، الذي يعد ذروة سنام الاسلام، والذي لاشك فيه اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس منا من لم يغزُ او يحدث نفسه بالغزو"[٧]، وعمل الحسن البصري كاتباً لدى القائد ربيع بن زياد الحارثي مما يعني انه كان مقرباً منه[٨].

ولم تشر المصادر التاريخية الى مدة مشاركته في الجهاد، رغم انها اشارت انه اشترك في عدد غير قليل من الفتوح، وتحت امرة اكثر من قائد، ويبدو لي مما تقدم ان مشاركته دامت اكثر من عشر سنين وربما في فترات متقطعة، اذ عرفنا ان الاحنف بن قيس قاد المعارك في خراسان[٩] وربيع بن زياد[١٠] ولاسيما ان ابا سعيد

---

[١] الذهبي: سير، ج٤/ص٥٧٢.

[٢] الحموي: معجم البلدان، ج٣/ص١٢٥.

[٣] الحموي: المصدر نفسه، ج١/ص٢٦١

[٤] الحموي: المصدر نفسه، ج٤/ص٤٢٧،٤٢٦

[٥] الحموي: المصدر نفسه ؛ ينظر، الذهبي: سير، ج٤/ص٨٧.

[٦] الذهبي: سير، ج٤/ص ٥٧٠.

[٧] السجستاني:سليمان بن الاشعث:سنن ابي داؤد(القاهرة:١٤٠٨ـ١٩٨٨)،ج٣/ص١٠،رقم الحديث ٢٥٠٢.

[٨] ابن حبيب، محمد: المحبر،تحقيق: ايلزة ليختن شيزر(بيروت:١٣٦١ـ١٩٤١) ص٣٧٨، ينظرالذهبي: سير، ج٤/٥٧٢؛ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي: تهذيب التهذيب،بيروت، دار صادر، ج٢/ ص٢٦٣.

[٩] الذهبي: سير، ج٤/ص٨٧

[١٠] الطبري:تاريخ، ج٥/ص٢٨٦؛ينظر:ابن خلكان، احمد بن محمد بن ابي بكر:وفيات الاعيان/تحقيق:احسان عباس(بيروت:د.ت)ج٢/ص٧٠؛الذهبي: سير، ج٤/ص٥٧٢.

الحسن البصري، قد عرف بالشجاعة، وعد في مرتبة كبار الابطال، ولا غرابة في هذا الامر، اذ وصف شكل الحسن بالضخامة كما اسلفنا[١] مما يفسر القوة الجسدية التي كان يتمتع بها، وزيادة على قوته العضلية، فقد تبين لنا من كثرة الجبهات التي شارك فيها، مقدار شجاعته، وطول المدة، اذ عمل مع اكثر من قائد، كما وضحنا، واتوقع ان كل ذلك كان في خلافة معاوية بن ابي سفيان(٤٠-٦٠هـ/٦٦٠-٦٨٠م)[٢] فضلاً عن ما ذكرته المصادر[٣] ان المهلب بن ابي صفرة كان يوجهه به نحو المصاعب، مما يعني ان الحسن البصري كان في مطلع العقد الثالث من عمره، ومن الراجح انه كان يتصف بكفائته القتالية، استئناف الحسن المشاركة في الفتوح بعد نهاية حركة عبد الله بن الزبير عام(٧٣هـ/٦٩٢م)[٤].

واشارت بعض المصادر[٥] ان الحسن البصري، كان ضمن الجند المقاتلين للقائد المهلب بن ابي صفرة، وكان الحسن متميزاً بشجاعة عند ذالك القائد، الذي كان من قادة الخليفة عبد الملك بن مروان(٦٥-٨٦هـ/٦٨٥. ٧٠٤م)[٦].

ومما يعزز هذا الوصف للحسن البصري، علاقته باقرانه من الابطال مثل علاقته مع قطري بن الفجأة[٧]، احد قادة الخوارج المشهورين[١].

---

[١] ابن خلكان، احمد بن محمد بن ابي بكر: وفيات الاعيان/تحقيق: احسان عباس(بيروت:د.ت) ج٢/ص٧٠ ؛ ينظر، الذهبي: سير، ج٤/ص٥٧٢.

[٢] الطبري: تاريخ، ج٥/ص٣٢٤.

[٣] الذهبي: سير، ج٤/ص٥٧٨، ٥٧٩.

[٤] المسعودي، علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: اسعد داغي(بيروت: ١٣٨٥-١٩٦٥) ، ج٣/ص١١٥.

[٥] الذهبي: سير، ج٤/ص٥٧٨.

[٦] الطبري: تاريخ، ج٦/ص٤١٨.

[٧] قطري بن الفجأة التميمي: واسم الفجأة جعونة بن مازن، حارب الامويين خمسة عشر عاماً، وسلم اليه الخلافة الى ان طعن عام ٧١هـ/ ٦٩٠ م، الذهبي: سير، ج٤/ص١٥٢، وعن علاقته مع الحسن، المصدر نفسه، ج٤/ص٥٧٨

٤ . موقفه من(الاضطرابات الداخلية):

أ. ثورة ابن الاشعث[٢]:

وبسبب ظلم الحجاج[٣] لأهل العراق، استغل هذا الامر عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث[٤] وخرجَ العديد من الفقهاء والقراء مع ابن الاشعث أمثال، عبد الرحمن بن ابي ليلى، وابي البختري، والشعبي، وسعيد بن جبير[٥]، ومن اجل زيادة الدعم الشعبي، لثورة ابن الاشعث، والاستماتة في القتال، حرض بعض رجالات ابن الاشعث على استمالة جانب الحسن البصري اليه، ولكن ابن الاشعث لم يفلح، في ادخال الحسن الا مكرها، ولكن مع ذلك شارك مع ابن الاشعث مؤيداً له في البداية[٦]، وكان ذلك عام(٨٦هـ/٧٠٠م) في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق، وكان الحسن البصري قد تجاوز الستين من عمره.

ودليل ذلك عندما توفرت لأبي سعيد . الحسن البصري . اقرب فرصة للتخلص من ابن الاشعث، استغلها، وترك هذه الفتنة، وكاد ان يغرق، وبعد ان بلغ القراء رايه قائلاً: " اني ارى انها فتنة صماء، وذلك انكم لم تختلفوا، في ربّ ولا نبي ولا كتاب، ولا قبلة فرحم الله عبداً اتقى ربه، ونظر ليوم معاده "[٧].

---

(١) الذهبي: سير، ج٤/ص٥٧٨.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن الاشعث، احد القادة الذي كلف من قبل الحجاج بمحاربة ريتبل ملك السند وذلك في سنة ٨٦هـ/٧٠٥م، وقد هزم الحجاج ابن الاشعث بعد معارك عديدة، الطبري: تاريخ، ج٦/ص.

(٣) الحجاج بن يوسف الثقفي: قائد واداري، تولى العراق وولاية المشرق من عام ٧٥ . ٩٥هـ/٦٩٤ . ٧١٣ م، المسعودي: مروج، ج٣/ص١٦٦

(٤) المسعودي: مروج، ج٣/ص١٣١.

(٥) الطبري: تاريخ، ج٦/٣٥٧ . ٣٥٨.

(٦) ابن سعد: الطبقات، ج٧/١١٩.

(٧) ابن الاعثم: الفتوح، ج٧/ص ١٤٧.

بينما تشير بعض الروايات، ان التحاق الحسن البصري بابن الاشعث، نتيجة ملاحقة الحجاج بن يوسف له، بعد ان تكلم الحسن على الخليفة عبد الملك ووالية على العراق، الحجاج بن يوسف[١].

ب . الموقف السياسي للحسن البصري من تمرد يزيد بن المهلب(اسباب التمرد):

اما موقف الحسن البصري من تمرد يزيد بن المهلب، فقد كان اكثر وضوحاً اذ كانت وجهة نظر الحسن البصري، ان هروب ابن المهلب من سجن الخليفة يزيد بن عبد الملك(١٠١-١٠٥هـ/٧١٩ . ٧٢٣ م) هو الخطأ بعينه، وازاء هذا الموقف تعرض الحسن البصري للتهديد من قبل مروان بن المهلب، شقيق يزيد.

وقد تجلت محبة الناس للحسن البصري عند ذاك، فعندما سمعوا بهذا التهديد كادوا يثورون على مروان بن المهلب، لولا تسكين ابي سعيد الحسن البصري لهم[٢] وهذا يذكرنا بدعوة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه له.

ج . موقف الحسن البصري من الخوارج:

اما موقف الحسن البصري من الخوارج[٣]، فقد وصفهم بانهم مثل قوم نوح، وكان يرى ان الخليفة علي بن ابي طالب رضي الله عنه(٣٦-٤٠هـ/٦٧٦-٦٨٠م) ضعفَ موقفه عندما قبل الحكومة، لذا قيل ان الحسن البصري لا يكره الا خارجي[٤] وقد عاصر الحسن البصري الكثير من ثوراتهم وقد عرف بعض قادتهم عن قرب مثل قطري بن الفجأة[٥].

---

[١] الذهبي: سير، ج٤/ص٥٧٨ ؛ ابو العرب: المحن، ص١٨٤.

[٢] الطبري:تاريخ،ج٦/ص٥٩٦؛ينظر:ابن الاعثم:الفتوح،ج٨/ص٩، ١٣.

[٣] الخوارج: فرقة اسلامية خرجت على الخليفة علي بن ابي طالب رضي الله الله تعالى عنه(٣٦. ٤٠ هـ/٦٥٦. ٦٦٠ م)بعد قبوله التحكيم في معركة صفين عام ٣٨ هـ/٦٥٨ م، وظلت تقاتل الخليفة علي والخلفاء من بعده، المسعودي، مروج، ج٢/ص ٣٩٥

[٤] ابن سعد: الطبقات، ج٧/ص ١٢٧.

[٥] الذهبي: سير، ج٤/ص٥٧٨.

٥ . اراءه السياسية:

فقد كان للامام الحسن البصري جملة اراء تبين موافقه، فقد كان يحث طلبته على تولي وظائف القيادة في الدولة، لان المنابر تعلم الحكم قائلاً " اقربوا من هذه الاعواد، فانهم اذا رقوها لقنوا الحكمة، لتكون عليهم حجة يوم القيامة[١].

وكان يرى اربعة في الاسلام للسلطان: الحكم، والفيء، والجمعة، والجهاد[٢] أي انها من واجبات الخليفة الاساسية.

وكان يرى الحجاج جباراً على الارض، غير خارج عن ملة الاسلام فعندما سأله احدهم عن الحجاج هل في النار ام في الجنة، قال " قد كان الحجاج فاجراً فاسقاً، وما ادري ما اقول، ان رحمة الله وسعت كل شيء[٣].

اما عن رأيه تجاه من يتولى منصب الخلافة فرسالة الحسن البصري للخليفة عمر بن عبد العزيز(٩٩.١٠١هـ/٧١٧.٧١٩م)، تبين له اهمية منصب الامام وشبهه بالام الرحيمة وبالراعي الشفيق على غنمه، وغيره من الاوصاف، وحثه فيه على تحري الاعوان من الصالحين والتمسك بالعدل[٤] اما عن واجبات الولاة فنلمس اراء الحسن البصري في رسالته لعمر بن هبيرة والي العراق(١٠١ـ١٠٥هـ/٧١٩ـ٧٢٤م)[٥] والتأكيد على طاعة الله عز وجل اولاً قبل

---

[١] المبرد: الكامل، ج٢/ص٢٧٧.

[٢] ابن قتيبة:عيون الاخبار، تحقيق: يوسف علي الطويل(القاهرة: د.ت) ج١/ص٤ .

[٣] ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٢/ص٧٠.

[٤] ابن عبد ربه:العقد الفريد، ج١/ص٣٤ . ٣٥؛ ينظر:ابن خلكان: وفيات،ج٢/ص٧١.

[٥] عمر بن هبيرة الفزاري،تولى العراق في خلافة يزيد بن عبد الملك ١٠١ـ١٠٥ هـ/٧١٩ـ٧٢٤ م،شارك بالفتوح، قتل١١٠ هـ/٧٢٨ م؛ابن الاثير، علي بن محمد بن محمد:الكامل في التاريخ(بيروت:١٣٨٥ـ١٩٦٥)ج٥/ص١١٥؛ الزركلي، خير الدين: الاعلام، ط٣(بيروت: د.ت) ج٥/ص٢٣٠.٢٣١.

الخليفة[١] وبينما كان يوبخ طلبة العلم من التملق للولاة، فقد ذم القراء الذين كانوا وراء باب عمر بن هبيره والي العراق ينتظرون الاذن بالدخول عليه، بينما هو دخل الباب بعد ان طلبه ابن هبيره[٢] لان القراء بمثابة قدوة للناس فيجدر بهم ان يكونوا اكثر وضوحاً في علاقتهم مع الولاة من الاخرين على حسن سياسة الناس بما يرضي الله عز وجل.

٦ . ثقافته وعلومه:

أ . الرواية:

ان الحسن البصري، الذي نشأ على مقربة من منبع العلم وتركز صحابة رسول الله، امثال عثمان بن عفان، وعلي بن ابي طالب، وزيد بن ثابت، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، فضلا عن نشأته في كنف ورعاية ام المؤمنين ـ ام سلمة . رضي الله عنها، ودعوة عمر بن الخطاب له، ثم انتقاله الى البصرة التي عاش فيها الصحابي الجليل انس بن مالك(ت ٩٩هـ/٧١٧م)[٣].

أي انه كان على تواصل مع كبار الصحابة يتلقى عنهم العلم ويرى افعالهم المستمدة من خلقهم، كل هذا جعله ينشأ في بيئة علمية هي مصدر اشعاع للعلوم الشرعية في ذلك العصر . القريب العهد . من عصر النبوة من علوم القرآن الكريم قراءة وتفسيراً واسباب نزول وناسخاً ومنسوخاً، وكذلك في علم الحديث من رواية ودراية، وناسخ الحديث ومنسوخه وجرحاً وتعديلاً في الرواة من التابعين.

---

[١] ابن خلكان:وفيات الاعيان،ج٢/ص٧١؛ينظر:ابن عبد ربه:العقد الفريد، ج١/ص٥٩؛المسعودي:مروج، ج٣/ص١٩٩ . ٢٠٠.

[٢] الاصفهاني، احمد بن عبد الله: حلية الاولياء، ط١(بيروت:١٤٠٩/١٩٨٩) ج٢/ ص١٤٩؛ ينظر: نوري، موفق سالم: نهج الحكمة نصوص في الحكم الاسلامي(اربد: ١٤٢٥.٢٠٠٥)ص٣٢، ٧٣.

[٣] االمبرد:الكامل،ج٢/ص٢٧٧؛ينظر:الشيرازي،ابراهيم بن علي بن يوسف:طبقات الفقهاء،تحقيق:احسان عباس،ط٢(بيروت:١٤٠١_١٩٨١) ص٨٧.

كذلك ان تنقلاته في بلاد الشرق بسبب عمليات الفتح ومرافقته لكبار الصحابة، اكسبته خبرة فائقة، بمجريات الاحداث، وطبيعة التركيب السكاني للاجناس من، عرب، واقباط، وفرس، وبلوش، وغيرهم، من عناصر وفئات البشر التي بدات الامة الاسلامية تضمها انذاك.

اما في مجال رواية الاخبار فيعد الحسن البصري، راوياً سواء عن طريقة الصحابة، ام عن علوم الاقدمين، ربما من خلال العلوم التي تلقاها، او الكتب التي اطلع عليها، من امثال اخبار بني اسرائيل[١] واخبار الامم الغابرة، والمغازي، وايام الفتوح الاولى.

اما اذا وصلنا الى عصره، فقد نقل بعض الاحداث التي رواها عن اواخر ايام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه(٢٤.٦٣هـ/٦٤٤-٦٥٦م) وكذلك الخليفة علي بن ابي طالب رضي الله عنه(٣٦.٦٥٦/٤٠هـ/٦٦٠م)[٢].

وبعد ذلك كان عنصر اسهم في الاحداث من مشاركته في العمليات العسكرية والنشاط السياسي، فضلاً عن العلم الذي كان قد حصل عليه الحسن البصري منذ نعومة اظفاره، وارتباطاته بعلاقات وثيقة مع عدد من الولاة امثال: عدي بن ارطأة[٣]، عمر بن هبيرة، الامير مسلمة بن عبد الملك[٤]، والخليفة عمر بن عبد العزيز.

---

[١] ابن وكيع، محمد بن خلف بن حيان:اخبار القضاة(بيروت: د.ت) ج١/ص٥٤ ؛ نوري:نهج،ص٧٧،٦٢.

[٢] الاصفهاني: حلية الاولياء، ج١/ص ٦٠.

[٣] عدي بن ارطأة الفزاري، تولى البصرة للخليفة عمر بن عبد العزيز ٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م،قتل من قبل يزيد بن المهلب عام ١٠٢هـ/٧٢٠م؛ الذهبي:سير، ج٥/ص٥٣؛ ينظر، الزركلي: الاعلام، ج٥/ ص٨.

[٤] مسلمة بن عبد الملك بن مروان، امير وقائد غزا الكثير من البلاد وحاصرالقسطنطينية،ت١٢٠/٧٣٨م؛الطبري:تاريخ،ج٦/ص٤٤٣،٤٣٩،٤٢٩،٤٢٠،٥٣١؛ ينظر،الزركلي: الاعلام، ج٨/ص١٢٢.

وهو صاحب العلم والتقوى، وجه البصرة، وليس هذا فحسب بل كانت مواقفه المستندة الى الشرع تصب في خدمة الدولة، لان الشرع اكد كثيراً على طاعة الدولة المتمثلة باديء الامر في ايات كثيرة حتى وان واجه الظلم من قبل الامير من اجل الحفاظ على وحدة المسلمين، لذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " من اراد ان يفرق هذه الامة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائن من كان"[١].

وقبل ذلك قال الله عز وجل:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)[٢]. وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: " اسمعوا واطيعوا وان ولي عليكم عبد حبشي "[٣].

ومن هنا يتبين لنا ان الحسن البصري كان رافضاً للفتنه، اذ خطب الناس قائلاً " الا ان من السنة ان تأخذ فوق يديك " وخطابه هذا اثناء حدوث الفتنه القبلية في البصرة بين قبيلة تميم المضربة وبعض عشائر ربيعة، بعد مشادة بين رجلين، والتي ذهب ضحيتها اعداد غير قليلة من الضحايا. كان للحسن البصري موقف واضح في تحريم اشهار المسلم السلاح بوجه اخيه المسلم[٤].

ب ـ علم الحديث:

اما في مجال علم الحديث الذي يعد المورد الثاني للعلوم الشرعية، فقد بات الحسن البصري، من ذوي القدح المعلى في ذلك العلم، وقد كان يروي الحديث بالمعنى، اذ كان له موقفٌ من التطورات في حقل الرواية والتي حدثت في عصره، فالحسن البصري، ظل طيلة حياته العلمية متمسكاً ومحافظاً على نمط الرواية

---

[١] مسلم، ابن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١(بيروت:١٣٧٥هـ ١٩٥٥م) ج٣/ص١٤٨١ رقم الحديث ٥٩.

[٢] سورة النساء، الاية ٥٩.

[٣] البخاري، محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري(بغداد: ١٩٨٦) ج١/ص١٧٨.

[٤] الطبري: تاريخ، ج٥/ص ٥٢٠.

وبالاسلوب الذي تلقاه عن الرواة من الصحابة لذا كان حريصاً على ايصالها الى الناس بشكل واضح، وبالتالي كان جل همه على المعاني بهذه الاثار، وليس بالضرورة ان يكون النقل حرفياً فهذا ابن عون يقول: " كان الحسن يحدث بالحديث والمعاني ". وهذا جرير بن حازم يقول: كان الحسن يحدث بالحديث يختلف فزيد في الحديث وينقص منه، ولكن المعنى واحد[١].

ج . تفسير القرآن الكريم:

اما في مجال علم تفسير القرآن الكريم، فيعد ابو سعيد الحسن البصري من بين كبار التابعين، الذين لهم مؤلف في مجال تفسير القرآن الكريم وقد وجد بقايا من هذا التفسير في تفسير الطبري، وقد روى عنه عمرو بن عبيد المعتزلي، الذي توفي سنة(١٤٤هـ/٧٦١م)[٢].

والراجح انه كان يستعين في التفسير بالمأثور عن الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة، نظراً لتقيده بالكتاب والسنة، وكذلك كان يروي الشعر الذي يكون معيناً لتفسير بعض المعاني في القرآن الكريم[٣].

وله كتب عديدة في علوم القرآن الكريم، مثل كتاب العدد في ايات القران الكريم، وكتاب نزول القرآن، وكتاب الاخلاص، وكتاب الاستغفار[٤]، ومن المتوقع ان له كتب اخرى في هذا المجال الخصيب من العلوم الشرعية التي اشتهر فيها.

---

(١) ابن سعد:الطبقات،ج٧/ص ١١٥؛ ينظر:الحميدان،حميد عبدالله: الحركة الفقهية،ثانيا البصرة، مجلة الدارة(الرياض: ١٤٠٩/١٩٨٩) ع٤/ص٤١.

(٢) الذهبي: سير، ج٤/٥٧٨.

(٣) ابن قتيبة، عيون، ج١/ص ٣٩١.

(٤) ابن النديم، محمد بن اسحاق: الفهرست، تحقيق: رضا تجرد(طهران: ١٩٧١) ص٢٠٢ ؛ ينظر، الشريف المرتضى، علي بن الحسين: امالي المرتضى، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٢(بيروت: ١٣٨٧-١٩٦٧) ج٢/ص٢٤٧ ؛ ينظر، اسحاق، علي سواخ: معجم مصنفات القران الكريم، ط١(الرياض:١٤٠٤.١٩٨٤) ج٢/ص١٦١.

اما في مجال علوم اللغة العربية، فقد كان الحسن البصري من فصحاء هذه اللغة فقد روى اشعارها، وكان ينتقد من لايجيد هذه اللغة على وجهها الصحيح[١]، والراجح ان الحسن البصري لم يقتصر علمه في اللغة العربية على مجال النحو، بل ربما كان له باع في مجال اللغة ومصادر هذه اللغة.

٧ . حياته الاجتماعية:

لم تشر المصادر التاريخية التي تناولتها الى عدد اولاد وبنات الحسن البصري، ولكنها اشارت الى احدى بناته، التي رفض تزويجها، من احد الاغنياء، لانه راى ان ماله الذي بلغ خمسون الف درهم، اما جمع من الحرام، او هضم حقوق الفقراء من الصدقات[٢] واشارت المصادر الى احد اولاده، الذي كان له حظ في العلوم الشرعية، اما بقية ذريته فلم تذكرهم المصادر اما عن اخوة الحسن البصري، فانه كان له اخٌ اسمه سعيد بن يسار، كان ثقة في ميزان المحدثين، وقد روى له احاديث[٣] مما يدل على انه لم يكن مغموراً، كيف ذاك وهو اخ للحسن البصري، اما امه فقد ذكر انها كانت قاصة النساء[٤]، والراجح انها كانت تقص للنساء الاخبار، ولا عجب في الامر، اذ انها كانت تعمل عند ام المؤمنين، ام سلمة رضي الله عنها، ولا شك انها تعلمت اخبار عصر النبوة، وغير ذلك من علوم الشرع من بيت النبوة.

اشارت الكثير من المصادر، الى ان الحسن البصري، عد من الزهاد والعباد، اذ كان يقوم بتوزيع ما يحصل عليه، على الفقراء والمساكين، فعندما ارسل اليه والي العراق ابن هبيره اربعة الاف درهم، قام ابو سعيد الحسن بتوزيعها على الفقراء[٥]، واشتهر طعام الحسن البصري بطيب ريحه، مما يدل على ان زوجته

---

[١] الذهبي: سير، ج٤/ص٥٧٨.

[٢] ابن سعد: الطبقات، ج٧/ص ١٢٥.

[٣] الذهبي: سير، ج٤/ص٥٨٤.

[٤] ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٢/ص٧٢.

[٥] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١/ص٥٩ ؛ ينظر: نوري: نهج، ص١٤٢.

كانت طباخة ماهرة، او انه كان ذواقاً في الطعام اذ اشتهرت طيب رائحة قدره بالنسبة لمعاصريه الذين افردوا له هذا، ونقلوه لنا[١].

وكان الحسن البصري، لا يرى هناك اسرافاً في الطعام، وقد ذم من يزهد في الطعام، الذي كان متوافر في عصرهم بعد الفتوح واكثر من ذي قبل بفعل الاختلاط بين الشعوب، اذ عرفوا انواعاً جديدة من الطعام[٢].

كما عرف عن الحسن البصري، جمال ملبسه، مما يدل على عنايته بأناقته، ويبدو انه يتبع الحديث الاتي: " ان الله يحب اثر نعمته على عبده "[٣].

وقبله الاية الكريمة:(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)[٤]، وكان يصفر لحيته كل جمعه، ومن اجمل ملابسه القباء، الذي كان يتالق عليه مثل الذهب[٥] وهو ثوب طويل، ويبدو ان الزهد عند الحسن البصري هو في قلة ما يتملكه، اذ لم تشر المصادر الى ان امتلاكه عقارات او غير ذلك من الاموال المنقولة، لاننا قد نرى بعض الزاهدين في ملبسهم ومأكلهم، الجامعين لثروات طائلة بعيدة عن اعين الناس.

فعندما كان يزوره الناس في مرضه يرون بساطة اثاثه وقلتها، اذ قال احدهم: دخلنا على الحسن نعوده، فما كان في بيته شيء، لا فراش، ولا بساط، ولا وسادة، ولا حصير، الا السرير[٦] مرمول عليه.

٨ . وظائفه :

---

[١] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦/ص٢٩٢.

[٢] ابن عبد ربه:العقد الفريد، ج٦/ص٢٩٢. ابن قتيبة: عيون الاخبار، ج١/ص٣٩١ ؛ ينظر، ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٢/ص٧٠ ؛ نوري: نهج، ص١٣٠.

[٣] الترمذي:الجامع، ج٥/ص ١١٤.

[٤] سورة الضحى، الاية ١١.

[٥] ابن سعد:الطبقات، ج٧/ص ١٢٥ ؛ ينظر: الذهبي: سير، ج٤/٥٧٣.

[٦] الذهبي: سير، ج٤/ص٥٨٨.

ان الامام الحسن البصري عمل في وظائف متعددة، فقد عمل كاتباً عند القائد الربيع بن زياد الحارثي[١]، مما يعني انه كان جديراً بهذه المهمة التي اسندت اليه، وهي تنظيم امور الجند المالية، وكذلك قضايا الفتوح، والتعامل مع سكان الاراضي المفتوحة وما يفرض عليه من ضريبة خراج على الاراضي الزراعية حسب طبيعة سقي الاراضي، ومقدار الجزية وغير ذلك من امور تتعلق بالفتح وما وراءه.

وبعد ذلك عمل في الافتاء، مما يدل على سعة علمه وانه وصل الى مرحلة الاجتهاد، عندما كان يرجع من الجهاد، مما يعني انه كان يمارس الافتاء منذ وقت مبكر من عمره[٢].

وفي اواخر حياته اثناء خلافة عمر بن عبد العزيز(٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) اصبح الحسن البصري قاضياً لمدينة البصرة وهذه الوظيفة تتطلب مجموعة صفات منها العدالة والعلم والهيبة وغير ذلك من الصفات التي كان يتصف بها القاضي، وكان للحسن البصري القدح المعلى في ذلك[٣].

٩. وفاته:

توفي الحسن البصري عام(١١٠هـ/٧٢٩م) عن عمر ناهز السابعة والثمانين سنة، وكانت حياته مليئة بالجهاد والعلم والحكمة والاخلاق العالية، وشهد جنازته الكثير من اهل البصرة، ويبدو ان دفنه قد تأخر حتى حلول العصر، لذا فان صلاة العصر لم يحضرها الكثير في مسجد البصرة، لانشغالهم بدفن هذا العلامة[٤].

---

[١] الذهبي:سير، ج٤/ص٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٨، ٥٨٢، ٥٨٥، ٥٨٧ ؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن:طبقات الحفاظ، تحقيق:علي محمد عمر، ط١(القاهرة:١٣٩٣-١٩٧٣)ص٣٧.

[٢] ابن حبيب: المحبر، ص٣٧٨ ؛ ينظر: ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٢/ص٧٢.

[٣] الذهبي:سير،ج٤/ص٥٨٨؛ينظر،ابن حجر العسقلاني،احمد بن علي:تهذين التهذيب(بيروت:د.ت)ج٢/ص١٦.

[٤] الذهبي: سير، ج٤/ص٥٨٢.

الخاتمة

ان هذا البحث الذي قمنا بانجازه، حول شخصية العلامة التابعي الحسن البصري، الذي رضع من بيت النبوة، واصابته دعوة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان رجلاً متميزاً في علمه وعمله، فقد نشأ قرب منابع العلم، مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الذين كانوا متمركزين فيها اكثر من غيرهم، وما ان شب حتى بدأ يشارك في عمليات الجهاد التي كانت ساحاتها في المشرق والمغرب والشمال، من بلاد الترك وافريقيا وبلاد الروم، ولم يكن مجاهداً اعتيادياً، بل كان متميزاً بالشجاعة حتى ان القائد المهلب بن ابي صفرة كان يلقي بالحسن البصري في المصاعب لثقته الكبيرة به، وفي مجال العلم، كان الحسن البصري العلامة الذي يرجع اليه العلماء في مجال الحديث والتفسير واللغة والرأي.

ولم يكن الحسن بمعزل عن الاحداث التي كانت جارية في مدينة البصرة، بل كان يأمر بالسنة أي الوحدة وينهى عن الفرقة، ويأمر بالتجمل بالصبر، وعمل في الادارة في مجال الكتابة والقضاء والافتاء، واتصل بكبار رجال عصره من شتى المشارب من خوارج واوائل المعتزلة، ثم برجالات الحكم من ولاة وخلفاء ومن قادة تيارات سياسية كانت مع الدولة الاموية أو انقلبت عليها.

وعندما رجعنا الى احواله الاجتماعية وجدناه رجلاً مشهوراً في تذوق الطعام وطبخه، كريماً مع الفقراء، بسيطاً في اثاثه، انيقاً في ملبسه، زاهداً في حياته، وبعد هذا وذاك، كان الحسن البصري يطبق ما يقراءه ويعلمه للناس حتى على افراد بيته،ومن ذلك رفضه تزويج ابنته من احد الاغنياء لعلة رأها، واخيراً فقد فتح الله تعالى علينا بهذا البحث عن شخصية الحسن البصري، مما جعلنا معجبين به اكثر من السابق، لان من يطابق علمه عمله بما يرضي الله عز وجل يحبب الله فيه الناس اجدر ان يكون محل محبة من عاصروه، ومن سمعوا بحياته.

Abstract

Hassan Al-Basri

Dr. Sālim A. Ali (*)

Hassan Al-Basri is a great muslim scholar. He born 21 A.H./641 A.D. (i.e two years to the killing of the second caliph,namely, Omar Ibn Al-KhaTab. He brought up in Waadi Al-Qura in Yathrib in the Saudi Arabia.

The present paper deals with this personality who is regared as one of the pioneer Muslim scholars in Basra. Since this scholar has had an active role in the history of Islam, the study investigates his life and his jurist views towards jihad , policy, some events in his period….etc.

(*)University of Mosul /College of Arts / Dept. of Histoy.